مسيحيو العراق.. ومفارقات "الالتباس" الحضاري

عبد الحسين شعبان كاتب عراقي

عن صحيفة المشرق، العدد ٦٢٢، السبت ١١ شباط ٢٠٠٦، ص٦

كان واحدا من المشاهد الدرامية التي زادت الصورة قتامة في العراق تفجير أربع كنائس مسيحية في بغداد وكنيستين في كركوك راح ضحيتها العشرات من المواطنين الأبرياء العُزّل. وقد اعادت تلك التفجيرات الى الأذهان مسلسل الاعتداءات التي تعرض لهذا المسيحيون في العراق بصورة تكاد تكون منظمة ومستمرة منذ مدة ليست بالقصيرة. المفارقة الأولى المؤلمة هي أن تتم عمليات التفجير والاعتداء وكأنها ردة فعل أو هكذا تبدو، بعد نشر صحيفة دنماركية صورا تسيء الى الرسول محمد "ص". أما المفارقة الثانية فهي التي تحسب المسيحيين على الغرب أو تعتبرهم تابعين له أو يعملون لصالحه، في محاولة تشكيك بانتمائهم وهويتهم. ولعل المفارقتين كلتيهما لا علاقة لهما بالواقع، ناهيكم عن عدم وجود لأساس قانوني لهما، سواء في ما يتعلق بحق المواطنة أو بحقوق الانسان. هذا إن لم تكن المسألة ذات أغراض كيدية. فالمسيحيون في العراق ليس لهم صلة لا من قريب أو من بعيد بما نشرته الصحيفة الدانماركية أو صحف أوروبية أخرى، بل أن العديد من رجال الدين المسيحيين العراقيين والعرب دانوا باسم الكنيسة مثل هذا العمل الشائن الذي لا يستهدف سوى الاستخفاف بالمقدسات واستفزاز مشاعر ملايين المسلمين. ومن جهة أخرى، فتاريخ المسيحية في الشرق ومواقفها تختلف عن المسيحية الأوروبية، سواء أيام حروب الفرنجة أو بعدها وكان للمسيحية الشرقية أن أسست كنيستها المستقلة. فالكلدان والآشوريون السريان "المسيحيون" كانوا من أوائل الشعوب التي تبنت المسيحية وأعطتها نكهة خاصة في العراق وفي عموم الشرق. كما أن العلاقات الإسلامية-المسيحية في الشرق اتسمت بنوع من التعايش والتسامح والتضامن منذ العهدة العمرية عام ١٥ للهجرة حين سلم بطريرك القدس صفير نيوس مفتاح مدينة القدس عند فتحها للخليفة عمر بن الخطاب "رض" مقابل ضمان حقوق وحريات وممتلكات المسيحيين. إن تفجير كنائس المسيحيين والاعتداء على حرماتهم لم يحصل للمرة الأولى، بل على مدى السنوات الثلاث الماضية بعد الاحتلال حيث واجه المئات والآلاف منهم مضايقات وضغوطا كثيرة شملت عمليات اجلاء وتهجير واختطاف وقتل، تارة بحجة تعاون بعض المسيحيين مع المحتل وأخرى بحجة بيع الخمور، وثالثة بحجة عدم "احتشام" النساء أو عدم لبس الحجاب أو غيرها من الحجج الواهية، ومن ثم تعرض الكثير من المنتديات والكنائس المسيحية الى عمليات تخريب وتجاوزات سافرة.

وإذا أردنا العودة الى الوراء فالمسيحيون عانوا كثيرا برغم المساواة الشكلية التي كفلتها الدساتير العراقية المتعاقبة وأضطرت أعداد كبيرة منهم الى الهجرة منذ الستينيات من القرن الماضي. وهناك جالية تقارب الـ ١٠٠ ألف مسيحي في الولايات المتحدة معظمهم في ديترويت، بما شكل نزيفا مستمرا لكفاءات وطاقات وخبرات جرى تبديدها على نحو غير مسؤول، خصوصا وإن المسيحية والمسيحيين في العراق قدموا خدمات جليلة في الميادين والحقول العلمية والأدبية والفنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتجارية منذ تأسيس الدولة العراقية المعاصرة في العام ١٩٢١. الأحداث التي وقعت للمسيحيين في العراق إضطرت الآلاف منهم وبخاصة في بغداد وكركوك والموصل والبصرة الى ترك بيوتهم وممتلكاتهم والهجرة الى البلدان المجاورة. فمدينة مثل اللاذقية أو عمّان إزدحمت بالآلاف من المهاجرين المسيحيين الذين ينتظرون الهجرة الى المنافي البعيدة. لقد شعر المسيحيون في العراق وخاصة في السنوات الثلاثة الماضية إنهم إحدى الفئات الضعيفة في المجتمع فهم ليس لديهم ميليشيات ولا يشكلون كتلة سكانية كبيرة ولا وجود لمرجعية معتمدة يمكن الاحتماء بها، كما أن غياب الدولة ومؤسساتها الحامية وضعف المواطنة والمساواة واستمرار هدر حقوق الإنسان وتفاقم حالات التشظي والتشرذم واللهاث وراء المكاسب الأنانية الضيقة، أسهم في تردي أوضاعهم، يضاف الى ذلك صعود موجة التطرف والتعصب والغلو الطائفي والمذهبي.

ومن العبث واللاعقلانية التفكير بردود فعل غير منطقية تربط بين نشر الصور المسيئة الى الرسول "ص" أو فرض لبس الحجاب في فرنسا أو اتهام بعض المسلمين بالتفجيرات التي وقعت في اسبانيا وبريطانيا وغيرهما أو سن القوانين لمكافحة الإرهاب تستهدف الجاليات الإسلامية والعربية في أوروبا وأميركا. فذلك أمر لا علاقة له بالمسيحية الشرقية وبالمسيحيين العراقيين والعرب.

لقد تعرض المسيحيون في العراق الى أنواع شتى من التمييز والاضطهاد، فقد عانوا لكونهم جزءا لا يتجزأ من النسيج العراقي المسالم الذي يعاني من تمزق طائفي واحتلال وارهاب، ومن جهة أخرى لكونهم مسيحيين حيث ينظر اليهم باعتبارهم "فئة أدنى" بعيدا عن حقوق المواطنة والمساواة، خصوصا في ظل الاحتقان الطائفي والأثني والمحاصصات والتقسيمات التي جاء بها بول بريمر الحاكم المدني للعراق بعد الاحتلال. ومثلما يقع الغرب السياسي أحيانا في نظرة شمولية كلامية حين يصنف جميع المسلمين وكأنهم مجبولون بالارهاب بل هم أقرب الى عمامة بن لادن وتنظيم القاعدة وحكم طالبان، فإن بعض الإسلاميين أو الإسلامويين أو المتعصبين يخطئون مرتين حين يعتبرون المسيحيين جزءا من الغرب وينكرون أو ينتقصون من مواطنتهم ودورهم الاجتماعي والثقافي على المستوى العربي، وفي المرة الثانية حين يعتبرون الغرب كله "شرا مطلقا"، متناسين وجود غرب ثقافي هو جزء من الحضارة الكونية والمشترك الإنساني، وهذا الأخير وقف الى جانب قضايانا العادلة وبالضد من مواقف الحكومات الغربية التي تضع مصالحها فوق كل اعتبار.

إن مسيحيي العراق هم جزء من الفسيفساء العراقية والموزاييك الاجتماعي وتنسيبهم الى الغرب هو إساءة الى انتمائهم وهويتهم وهو خسارة للعراق ولمكون أساس من مكوناته، مثله مثل إكراههم على الرحيل الذي لا يعني سوى استخفاف بتاريخ العراق وحضارته التي يكوّن المسيحيون جزءا مهما منها.

احذروا من الانفعالات.. لا ينبغي أن ننساق وراء الاستفزازات

سعد حسين- بغداد

على أثر عمل أحمق منافي للأخلاق والقيم السماوية من جانب صحفي أو صحيفة دانماركية نشرت صورا كاريكاتيرية للرسول محمد "ص"، اجتاحت العالمين العربي والاسلامي موجات غضب عارمة وردود أفعال سريعة وانفعالية انعكس جانب منها سلبا على الإسلام والمسلمين.

صحيح لا يمكن القول أن الصحيفة الدانماركية لم تعرف مسبقا النتائج المتوقعة لتصرفها ومدى وقعها على الأقليات الاسلامية في أوروبا والدول الاسلامية، بل هي على دراية تامة بمنزلة الديانات والمقدسات وتأثيرها على الشعوب وتدرك ذلك مثلما تتجنب الاساءة الى اليهود والديانة اليهودية، مع الفارق أن الأخيرة يحميها القانون الذي يعاقب كل فعل يدخل في إطار معاداة السامية، وهذا ما شجع الصحيفة وغيرها من وسائل الاعلام الغربية على التجرء للإساءة الى المقدسات الاسلامية واستغلالها من قبل أطراف معينة لتحقيق غايات أبعد بكثير من الاساءة للرسول الكريم محمد "ص".

كان على البلدان الاسلامية والمراجع الدينية أن تتحسب لمثل هذه الاستفزازات وأن لا تقع في شراكها، بل تتعامل معها بحكمة وعقل رشيد وتحول دون استغلال مثل هذه الفرص لتسيسها أو لتحريك الشارع الاسلامي نحو أهداف لا تخدم المسلمين ولا الاسلام، إذ أن ردود الفعل السريعة قد لا تكون نتائجها على الدوام ايجابية، بل يعود ضررها على أصحابها.

إن عمل الصحيفة لا يعكس بتاتاً موقفا رسميا، فعلى صعيد العلاقات الدولية، لا توجد دولة واحدة تسخر قدراتها ووسائلها الاعلامية للمساس بدين بعينه، ولا يجرؤ أي مسؤول شرقي أو غربي أيا كانت دياناته أن يسمح لنفسه التعرض الى معتقدات الآخرين في عالم تحكمه اليوم قواعد دولية تحترم حقوق الانسان والحريات الأساسية والمعتقدات الدينية وغير الدينية هذه القواعد القانونية اتخذت شكل معاهدات واتفاقات انضمت اليها جميع الدول ومطلوب منها الالتزام بتنفيذ بنودها.

وفيما يخص تصرف الصحيفة الدانماركية، فرغم إعتذار إدارتها، استنكر العالم هذا العمل المشين ومثل ذلك فعلت مجالس كنسيّة ورجال دين وممثلون عن الطوائف المسيحية في العراق وفي بلدان أخرى. لذلك لم يكن هناك أي مبرر يوجب استهداف بعض الكنائس أو أبناء الطائفة المسيحية سواء في العراق أو خارجه.

كان على أولئك المتطرفين أن يضعوا نصب أعينهم قبل إقدامهم وقبل ردودهم الانفعالية أن يتصفحوا التاريخ المشرق للتعايش بين الأديان في العراق وفي العالم الاسلامي فرغم الأزمات والأحداث الدامية التي جرت عبر التاريخ لم تهتز وشائج اللحمة والألفة بين المسلمين والمسيحين.

فالغزوات الصليبية التي دامت أكثر من مائتي عام وما رافقها من مآس وويلات أثبتت صلابة نسيج المجتمع العراقي والتعايش الديني فيه ولم يسجل التاريخ في عهود الخلافة الراشدية، الأموية والعباسية ولا حتى في العصور المظلمة التي أعقبت سقوط بغداد عام ١٢٥٩ إرتكاب أية فضائع سببها الدين، بل على خلاف ذلك تماماً فها هو الرسول محمد "ص" ينصح أصحابه باللجوء الى ملك الحبشة لحمايتهم من قبائل قريش وأبناء عشائرهم.. ألا نتذكر موقف راهب الدير الذي بشر عم الرسول عندما كان طفلا بأن إبن أخيه سيكون له شأن عظيم؟، وماذا عن قصة وهب المسيحي في واقعة كربلاء، أو ذلك الراهب الذي أبقى رأس الحسين "ع" في حضنه باكيا طوال الليل قبل أن تغادر به القافلة عائدة الى الشام؟.

وفي عصرنا الحديث شواهد كثيرة، أليس للراحل الأسقف مكاريوس والأب كابوتشي مواقف مشرفة من نضال الشعب الفلسطيني؟، وماذا عن رهبان كنيسة القيامة الذين جعلوا من كنيستهم المقدسة ملجأ لمئاتي فلسطيني ملاحقين من قبل القوات الإسرائيلية؟، لقد تقاسموا مع الفلسطيني آخر قطعة خبز وشربة ماء.. هنا كان علينا أن نتذكر ما جاء بكتاب الله في سورة المائدة الآية "٨٢" إذ قال تعالى:" ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم لا يستكبرون".. وكم من بعثة إنسانية حملت الى الشعب العراقي الغذاء والدواء مرسلة من مجلس كنائس الشرق الأوسط خلال الحصار الاقتصادي والحرب والجهود الكبيرة التي تقدمها منظمة الصليب الأحمر لمساعدة المرضى والأطفال العراقيين.. القائمة طويلة.

أمام كل هذه الشواهد، هل من العدل والحكمة أن ننساق وراء الانفعالات والاستفزازات للقيام بأعمال منافية للدين والقيم السماوية السامية؟، ما هو ذنب الآخرين إذا أرتكب فرد حماقة أليس دين الإسلام يحرم قتل الأبرياء "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

إذا كان الأمر يتعلق بعمل قام به فرد او مجموعة متطرفين أو معادين لدين ما، وتكون ردود فعلنا طائشة، فهذا يعني إننا نعيش في عالم البربرية وليس الحضارة.. ألم يحدث في الجزائر ومصر أن قتل رهبان ومسيحيون أبرياء على يد متطرفين إسلاميين، فهل يعني ذلك ان تقوم المجتمعات الغربية بحرق الجوامع والمساجد؟.

كان على أولئك الذين هاجموا بعض الكنائس أن يتركوا الأمر للدولة وللمرجعيات الدينية لاختيار الرد المناسب على تصرف الصحيفة الدانماركية والى الاحتجاج عبر القنوات الدبلوماسية أو الاحتجاجات السلمية وليس ممارسة أعمال العنف ضد الأبرياء، كان يفترض عليهم أن يلتزموا بالفتاوى التي اطلقها سماحة آية الله علي السيستاني وهيئة علماء المسلمين بتحريمهم التعرض لدور العبادة المسيحية والإسلامية على حد سواء وأن لا يتركوا لأنفسهم السقوط السريع في شباك الاستفزازات التي ينسجها من أراد الايقاع بين المسلمين والمسيحيين.

وفي الختام أود القول إذا أردنا حقا أن نظهر حقيقة إسلامنا والتزامنا الكامل بالقرآن والسيرة النبوية الشريفة وبسلوك آل البيت والصحابة الصالحين، علينا أن نوقف سفك الدماء فيما بيننا ونحترم مشاعر وعقائد بعضنا البعض ونعزف عن القيام بأية أعمال تتعارض مع أحكام الدين الإسلامي كالقتل والسطو المسلح والاغتصاب والاختطاف والغش في الميزان والرشوة وغيرها من الكبائر والمحرمات.

مشروع قانون تنظيم العمل الصحفي في إقليم كوردستان

الفصل الثالث

واجبات وحقوق وامتيازات الصحفي

المادة: الرابعة عشرة

واجبات الصحفي:

١. يلتزم الصحفي فيما ينشره بالمبادئ والقيم التي تنظمها القوانين متمسكا في كل أعماله بمقتضيات الشرف والأمانة والصدق وآداب المهنة وتقاليدها بما يحفظ للمجتمع مثله وقيمه وبما لا ينتهك حقا من حقوق المواطنين أو إحدى حرياتهم.

٢. يلتزم الصحفي بالامتناع عن الانحياز إلى الدعوات العنصرية أو التي تنطوي على إهانة الأديان أو الدعوة إلى كراهيتها أو الطعن في إيمان الآخرين أو ترويج التمييز أو الاحتقار لأيمن طوائف المجتمع وعدم إشاعة الدجل والحرافة.

٣. لا يجوز للصحفي أن يتعرض للحياة الخاصة للمواطنين وألا ينشر أي أمر يخدش الآداب العامة.

٤. تقديم المادة الصحفية بصورة موضوعية ومتكاملة ومتوازنة.

٥. توخي الدقة والنزاهة والموضوعية في التعليق على الأخبار والأحداث.

المادة: الخامسة عشرة

حقوق وامتيازات الصحفي:

١. الصحفيون مستقلون لا سلطان عليهم في أداء أعمالهم المهنية لغير القانون.

٢. لا يجوز أن يكون الرأي الذي يصدر عن الصحفي أو المعلومات التي ينشرها سببا للمساس بأمنه.

٣. لا يجوز إجبار الصحفي على إنشاء مصادر معلوماته إلا في حدود القانون.

٤. للصحفي الحق في حضور المؤتمرات وغيرها من الفعاليات التي تنسجم وعمل الصحفي.

٥. كل من أهان صحفياً أو اعتدى عليه بسبب عمله يعاقب بالعقوبات المقررة لمن يعتدي على موظف أثناء تأدية واجبه بسببها.

٦. إذا طرأ تغيير جذري على سياسة الصحيفة التي يعمل لديها الصحفي أو تغيرت الظروف التي تعاقد في ظلها جاز للصحفي أن يفسخ العقد مع الصحيفة بإرادته المنفردة شرط إعلام الصحيفة بعزمه على فسخ العقد قبل امتناعه عن العمل لفترة "١٥" خمسة عشرة يوما دون الإخلال بحق الصحفي في التعويض إذا كان معمولا به في المؤسسة التي يعمل فيها.

٧. تلتزم المؤسسات الصحفية كافة وإدارات الصحف بالوفاء بجميع الحقوق المقررة للصحفي في القوانين وعقد العمل الصحفي الميرم بمصادقة النقابة.

٨. للصحفي حق التمتع بالإجازات الاعتيادية وبمعدل "٣٦" ستة وثلاثين يوما خلال السنة وبراتب أو أجر تام "مجموع ما يتقاضاه شهريا".

٩. في حالة عدم تمتع الصحفي بالإجازة الاعتيادية كلا أو جزءا بعد انتهاء السنة المالية يمنح مستحقاتها بما لا يتجاوز راتب أو أجر شهر واحد.

١٠. عند إصابة الصحفي أو مرضه أثناء تأدية واجبه أو من جرائه تتحمل المؤسسة الصحفية التي يعمل فيها مصاريف العلاج.

١١. تحتسب الإجازة المرضية براتب أو أجر تام على أن لا تتجاوز "٣٠" ثلاثين يوما خلال السنة.

١٢. على المؤسسة الصحفية التي يعمل فيها الصحفي تأمين وسيلة نقله إلى مكان عمله أو إلى مقر إقامته وبالعكس، وفي حالة تعذر ذلك تمنح له مخصصات النقل شهريا.

١٣. عند عمل الصحفي أيام العطل الرسمية تلتزم المؤسسة الصحفية التي يعمل فيها بتعويضه ماديا عن تلك الأيام بما يعادل أجرة يومين عن كل يوم.

أضواء على التشريعات القديمة

"حضارة وادي الرافدين"

مكرم أحمد البرزنجي/ أربيل

لا يخفى ما للاعلام من دور في حياة الأمم قديمها وحديثها حيث أصبح الاعلام في عصرنا وسيلة فعالة لتغيير الاتجاه وتوجيه الرأي العام وغسل الادمغة وصياغة عقلية الإنسان على نمط جديد في تفكيره وحتى سلوكه.. الاعلام وخاصة الصحف وُجدت منذ قديم الزمان على هذه الأرض لكن وسائلها وأساليبها كانت مختلفة وبدائية ثم تطورت مع تطور الحياة في كل مجالاتها، قديما كانت للقوافل والفرسان ورجال المشاة في نقل الأخبار الأكثر تعقيدا أما اليوم فتطور كثيرا من حيث الوسائل والأداء.. إذن من الأمور المسلم بها أن الحاجة الى القوانين والى الحرية والعدالة الاجتماعية وبقية المتطلبات الانسانية لا تبرز ضرورتها إلا في مجتمعات بلغت مرحلة لا بأس بها من نموها الاجتماعي والسياسي حيث عرف العراقيون القدماء الكتابة ودونوا بواسطتها أخبارهم ومعاملاتهم الاقتصادية والقضائية واستطعنا أن نتعرف على القوانين والاصلاحيات الاجتماعية التي أدرك العراقيون أهميتها وضرورتها في وقت مبكر جدا وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن العراقيين القدماء قاموا باصلاحات اجتماعية وعرفوا القوانين قبل غيرهم من شعوب العالم بآلاف السنين واعتادوا على ممارسة حقوقهم وحرياتهم في حدود القانون. لذا فقد كانوا يقفون بوجه كل ما يؤدي الى الانتقاص من حريتهم التي كانوا يعتزون بها باعتبارها تراثا وحقا ضروريا لأسلوب حياتهم.

العراق كان بحق مهد الحضارة في ربوعه وخاصة الأقسام الشمالية حيث بدأت أولى محاولات الإنسان في الزراعة في حدود الألف التاسع قبل الميلاد ثم ظهرت أولى المدن والمراكز الحضارية وفيها كانت أولى محاولات الانسان في الكتابة لتدوين التربية والتعليم والقانون والطب والتجارة والصناعة وغدت تلك المحاولات الأساس المتين الذي قامت عليه الحضارة العراقية القديمة في العصور التالية واستطاع الانسان العراقي بعقله المتفتح وارادته العظيمة ومثابرته الجادة وقدراته الفذة من صنع أروع المعجزات والملاحم ويمكن القول بأن أعظم انجاز حضاري قدمته بلاد وادي الرافدين في تاريخها القديم وأفاد منه شعوب الشرق الأدنى القديم هو الخط المسماري الذي كان من أقدم وسائل التدوين التي توصل اليه الانسان للحفاظ على تاريخه وتراثه ومنجزاته الذي بقي في الاستعمال عبر مسيرة طويلة من الزمن تزيد على ثلاثة آلاف سنة ومن هذه النصوص مسلة حمورابي "١٧٩٢- ١٧٥٠" قبل الميلاد، وقد حكم العراق أربعين سنة أدرك خلالها العراقيون القدماء فكرة العدالة وسعوا الى تأكيدها في واقع الحياة فكان العدالة عندهم حقا مشروعا.. وكان حمورابي أول ملك وحّد القطاع الأوسط من إمبراطورية سلالة أور الثالثة تحت حكم واحد مرة أخرى وبقيت بابل في عهد خلفائه مقر الملكية التقليدي الوحيد ومركز الثقافة الكتابية الرئيس وبيّن في مقدمة شريعته على نحو مفعم بالحيوية رغبته التي شاركه فيها أسلافه ومعاصروه في أن يظهر ملكا حكيما وعادلا توحدت في عهده أراض سومر وأكد القديمة مرة أخرى وعاشت في سلام ورخاء.

من تراث وادي الرافدين العريق

الربعانية في الديانة الإيزيدية "جللي"

جندي عثمان أوسو/ بيبان

من خلال دراسة المناسبات الدينية في الديانة الإيزيدية، نرى فيه الإهتمام الكبير لقدسية مظاهر الطبيعة في تلك المناسبات، حيث هناك عيد مربعانية الشتاء والذي يبدأ من ١٢/١١ ولغاية ١/١٩ حسب التقويم الشرقي أي من ١٢/٢٤ ولغاية ٢/١ حسب التقويم الغربي وهي فترة أربعين يوما من أكثر ايام الشتاء برداً حيث يحسب له عشرين يوما من شهر كانون الأول وعشرين يوما من شهر كانون الثاني شرقي، يحتفل في نهايته بعيد يسمى عيد مربعانية الشتاء "عيدا جللي زفستاني" وذلك احتفاءا بانتهاء البرد الشديد. وهناك عيد مربعانية الصيف والذي يبدأ من ٦/١١ ولغاية ٧/٢١ حسب التقويم الشرقي أي من ٦/٢٤ ولغاية ٨/٢ حسب التقويم الغربي وهي فترة أربعين يوما من أكثر أيام الصيف حرارة يحتفل في نهايته بعيد يسمى عيد مربعانية الصيف "عيدا جللي هه فيني" وذلك تيمنا بزوال خطر حر الصيف الشديد على البشر وهو من الأعياد المهمة حتى أنه يسمى عند البعض بعيد الشيخ أدي الذي كان يصوم أربعين يوما في الصيف وأربعين يوما في الشتاء لكلتا المناسبتين.

وبالحديث عن المظاهر المقدسة للطبيعة في الديانة الأيزيدية فهناك عيد رأس السنة "سه رى صال" والذي يقع في أول أربعاء من شهر نيسان شرقي وهو من أكبر الأعياد الدينية مكانة حيث يمثل قدوم الربيع وازدهار الطبيعة بالألوان الزاهية كما أنه يمثل مجيء الخير وحلول البركة على الطبيعة، فهي إذن مشاركة الإنسان لازدهار هذه الطبيعة الزاهية. أما عيد الصوم الذي يقع ما بين ١٢/١٤ ولغاية ١٢/٢١ فهو يمثل ظاهرة الإنقلاب الشتوي في الطبيعة حيث التغير في محور الكرة الأرضية وزيادة فترة النهار على حساب فترة الليل فهو يمثل غلبة النور على الظلام.

وعيد الجماعية الذي يصادف من ١٠/٦ ولغاية ١٠/١٣ حسب التقويم الغربي فهو يمثل إنتهاء فصل الصيف وحلول فصل الخريف وذبول النباتات واصفرار الطبيعة. وأن جميع المراسيم والطقوس فيه تدل على الحزن والعزاء، علما أنه يأتي بعد عيد رأس السنة في الأول من شهر نيسان بستة أشهر.

وبالعودة الى موضوعنا حول المربعانية نقول أنه تقام في كلتا المناسبتين مراسيم وطقوس مثل الصوم لفترة أربعين يوم وزيارة مرقد الشيخ أدي من قبل بابا شيخ وحاشيته وإقامة مراسيم "سه ما" في ليلة العيد وفي صبيحة العيد تقام وليمة لهذه المناسبة تسمى "سماط" يحضر لها جميع زوار كلي لالش كما تقام مثل هذه الوليمة في أغلب القرى والبلدات عند المزارات المنتشرة في ربوع المنطقة حيث يتبرك الناس بتناولها صبيحة العيد ثم يقومون بعد ذلك بتهنئة الأقارب والأصدقاء بهذه المناسبات.

وعن الإرث التاريخي للمربعانية نقول أن سكان وادي الرافدين القدماء عرفوا تقسيم الزمن والذي عُرف بالنظام الستيني أو التقسيم الستيني حيث تقسيم الساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية وهو التقسيم الذي لا يزال مستخدما في الوقت الحاضر دون تغيير، وأن هذا التقسيم انعكس حتى على تسمية الآلهة القديمة وذلك لأهمية هذا التقسيم فقد جاءت في قصة الخليقة السومرية أنه كانت للآلهة أرقام في مجلس الأناتوكي وهو مجلس الآلهة السبعة العظام والذي كان يُعبد في جميع الحضارات التي ظهرت في بلاد وادي الرافدين القديم فكان الإله الأكبر "أنو" يحمل الرقم ستين وهو أعلى الأرقام، وكان يسكن بعيدا في السماء وله إدارة السماء والنجوم والكواكب. أما "أنليل" فكان يحمل الرقم خمسين وهو إله الهواء والرعد وكان يسكن بين السماء والأرض. أما الإله "أيا" فكان يحمل الرقم أربعين وهو إله الحكمة والعقل والكتابة وكان يمثل الأرض حيث بيده جميع الأمور المتعلقة بشؤون الأرض، وكان يسمى "أنكي" عند السومريين ومعناه سيد الأرض ثم أصبح يسمى "أيا" أو "ايل" عند الشعوب السامية ومعناه أيضا سيد الأرض وكان يقف دائما بجانب الإنسان في مجلس الآلهة العظام وذلك حسب فلسفة الحضارات القديمة في خلق الكون. فهو الذي أنقذ "أتونا بشتم" أو "أتراخيس" لاحقا من الطوفان وذلك عندما أخبره أن الآلهة قررت إبادة البشر من على وجه الأرض وذلك بإغراقهم بماء طوفان. كما أن "أيا" خلق ادابا ليقوم بخدمة الآلهة على وجه الأرض. وهو الذي أنقذ الآلهة الأم المقدسة "انانا عشتار" من العالم السفلي وجعل دورة الحياة تقوم على الأرض بمشاركة آلهة الإخصاب "دموزي وعشتار"، ويرجع إليه الفضل في توزيع مظاهر الحضارة والتمدن على الأرض بين الآلهة، فقد أعطى مهنة الرعي الى "دموزي الملك" ومهنة الزراعة الى "الفلاح انكي احدو" وبهذا أصبحت جميع الأمور الحياتية على الأرض بيد الإله صاحب الرقم أربعين والذي أصبح يسمى عندهم "سيد الأرض".

إنتقل هذا الإرث العريق من تراث وادي الرافدين الى جميع شعوب الأرض وذلك عن طريق كتبة أسفار العهد القديم والذين اعتبروا العدد أربعين رقما مقدسا في تراثهم الديني أيضا حيث جاء في التوراة أن مياه الطوفان هطلت لمدة أربعين يوما، وأن النبي موسى وايليا صاما اربعين يوما وأن النبي موسى عندما أصبح عمره اربعين سنة خطر بقلبه ان يتفقد أحوال أخوته من بني إسرائيل، وأن شعبه تاه في الصحراء لمدة أربعين سنة وأن ملاك الرب ظهر له في لهيب نار في عليقة وذلك بعد مضي أربعين سنة في أرض سيناء، وأن الله أقام شاوول بن قيس من سبط بنيامين ملكا على اليهود أربعين سنة، وجاء في الكتاب المقدّس أيضا أن السيد المسيح صام أربعين يوما وأربعين ليلة وأنه كان يظهر لتلاميذه بعد صلبه لمدة أربعين يوما. كما أن النبي محمد جاءته الرسالة عندما بلغ من العمر أربعين سنة وأن الزكاة في الإسلام على الماشية تحسب عندما يبلغ عددها أربعين رأسا. وعند الشيعة زيارة الأربعين وهو اليوم الذي أعيد فيه رأس الإمام الحسين من مدينة دمشق الى العراق بعد أربعين يوما من نكبة كربلاء. وفي الديانة الأيزيدية فقد كان الشيخ أدي يصوم أربعين يوما في مربعانية الشتاء وأربعين يوما في مربعانية الصيف كما أنه قرب إليه اربعين شخصا من رجاله الصادقين وعلّمهم أصول الدين الأيزيدي وفرائضه وطقوسه، هذا من الناحية الدينية أما من الناحية الإجتماعية فيحسب للطفل الوليد وأمه أربعين يوم بعد الولادة ثم يزول الخطر بعد ذلك على حياتهما. وهذه الفترة تحسب حتى في ولادة الحيوانات كالبقر والفرس والغنم.. إلخ. حتى أن بعض ربات البيوت يضعن أربعين قطعة من الأحجار الصغيرة بجانب البيض الفاقس تحت الدجاجة الكاركة وذلك لحمايتها من ان تفسد. وهكذا رأينا كيف أن للرقم أربعين إمتداد تاريخي قديم يرجع الى اولى الحضارات دون إستثناء ليصبح إرثا إنسانيا عريقا تقدسه جميع الشعوب والأديان لأنه أصبح يمثل فترة مخاض يتحملها الإنسان لحالة معينة في الحياة ثم يحل بعد ذلك الفرج وهي فترة إمتحان عسير يدخل في نطاقه الإنسان ليمتحن فيه قدراته ثم يأتي الفرج والإطمئنان والراحة. ولكي تكون هذه الفترة من المخاض سهلة، عمد الإنسان الى تقسيمه الى قسمين فيقولون: العشرون الأول من المربعانية والعشرون الأخيرة منه وبهذا تتقرب الفترة نحو النهاية. هكذا كان توجه الإنسان نحو الطبيعة المقدسة وكذلك تجاه الأمور الحياتية وذلك بالإعتماد على الرقم اربعين الذي اعتبره منذ البداية سيده على الأرض، مجدا لهذا التراث العريق الذي أنار الدرب لجميع شعوب الأرض خدمة للإنسانية وحفاظا على قدسية المظاهر الطبيعية. تحية للذين يحتفظون بهذا الإرث الغالي من التراث البشري العريق رغم المصاعب.

المصادر:

١. الإيزيديون في حاضرهم وماضيهم- عبد الرزاق الحسني.

٢. الإيزيدية بقايا دين قديم- جورج حبيب.

٣. العراق القديم- جورج رو- ترجمة حسين علوان حسين.

٤. سرجون الأكدي- د. فوزي رشيد.

٥. بلاد الرافدين- جان بوتيرو- ترجمة ألبير أبونا.

٦. عشتار ومأساة تموز- د. فاضل عبد الواحد علي.

٧. ظهور الكورد في التاريخ- د. جمال رشيد أحمد.

٨. مشاهدات عامة.

صور وتعليق

الرزق الحلال يتطلب أحيانا تجاوزا على النظام والحق العام، والسبب هو الحكومة

الصور بعدسة: عبد الجبار ناصر

من يرفع هذه الأنقاض؟، من يصلح المجاري الطافحة؟، متى تنتهي هذه المشكلة؟؟.